المثقف والسياسي بين الفكر والسلطة

موضوع الغلاف

الدبلوماسي

يرى الشاعر الروسي جوزيف بروتسكي في العلاقة بين المبدع والسياسي أن ثمة سوء فهم بين الطرفين، ويعود ذلك إلى أن المبدع يمثل الدائم الأبدي فيما السياسي يمثل المؤقت والراهن كما يعزو الضغينة التي يحملها السياسى المثقف والمبدع إلى أن السياسيين يدركون بأنهم عابرون على الرغم من كل الضجيج المحيط بهم، وعلى الرغم من استيلائهم على الحاضر بينما المثقفون والمبدعون يستولون على المستقبل وعلى الزمن بكاملة.

تلك الرؤية وإن كانت قد أتت من فئة المبدعين إلا أنها وبحسب ما يسرده لنا التاريخ من حكايات عبر ما مضى من الزمن تشير إلى صراع كان ولا يزال بين هذين الفريقين اللذين يرمي أحدهما على الآخر بعض تأويلاته وانتقاداته وتنظيره في أحيان كثيرة..

وتلك العلاقة أيضاً ترزح تحت وطأة المرض العضال حيث لا «دواء» يجعل من السياسي أن يهدأ ولا «مضاد» يمكنه أن يصارع ما يتأجج في داخل المثقف ويكبح جماحه.

هذا التقاطع بين الاثنين يشي بنقطة التقاء ساخنة جداً لا تكتب فيها الغلبة لأحد، فالسياسي دائماً ما يخرج من مأزق أكبر من رؤية مثقف، والمثقف لا يكل ولا يمل في إطلاق العنان لذاكرة تفرز أحداث ربع قرن في لحظة، لتظل النقطة مؤججة والصراع مستمراً ما لم يُخرج أحدهما للآخر راية بيضاء طلباً في الجلوس على طاولة الحوار..

في ملف هذا العدد نأمل أن نكون طاولة الحوار التي تنتظر ضيوفها الأعزاء من مثقفين وسياسيين ليقرأ كل منهما الآخر ويعلنان سلاماً يجعل منهما (وجهين لعملة واحدة) وهي التقدم والتطور..

عندما نسأل أنفسنا عن: الفرق بين مجتمع الأمس... ومجتمع اليوم؟. يمكننا أن نعرف وأن ندرك بوضوح عبر قليل من التأمل، أننا في مجتمعنا العربي قد عبرنا مراحل كثيرة من التحولات الفكرية والثقافية المهمة، ولا زالت تحولاتنا الفكرية والثقافية الضرورية قائمة ومستمرة في الاتجاه نفسه. لهذا أمكن تغير الفعل وبروز كثير من الأنشطة الاجتماعية والشبابية الفاعلة والنافعة والمثمرة، بسبب التعليم والتثقيف والتنوير الجيد. والثقافة الجيدة بوابة لسياسة جيدة والسياسة الجيدة تبشر بميلاد ثقافة جيدة.. إذا متى تصافحت الثقافة والسياسة سينعم المجتمع بحراك متقد..

الثقافة والسياسة..

تصافح ومبادرات

د.أحمد المبارك
الأحساء
جامعة الملك فيصل

وعندما نعود هنا «للمفاضلة» بين دور الثقافة التحريرية ودور المبادرات فإن «الثقافة» كما أراها قد تكون هي العنصر الأبرز والأهم في معادلات التغيير الجيو سياسي للمجتمع، رغم إدراكي لما قد تخلقه «المبادرات الفردية العملية» لقلة من الواعين في المجتمع العليل، من تغيُّر جذري في الثقافة والتفكير. لكن يبقى الرهان في الأخير على مدى قدرة المبادرات في آخر المطاف على إحداث تغيير ثقافي إيجابي جذري ودائم في الثقافة المريضة المبتلى بها هذا المجتمع، لذا يبقى الرهان الأهم متكئًا على «الثقافة وتحولاتها» ودورها في صنع وإنجاب المجتمع الحي.

لقد كان ذلك النضال والفعل الثقافي مبررًا ووجيهًا، وحريٌّ به أن يمتد وأن يستمر... حتى اليوم. فلا زلنا حتى اليوم نعيش في بعض تلك الخنادق القديمة المهترئة رغم الانفتاح والتغيرات الثقافية الجيدة والكبيرة. لذا ما زلنا بحاجة لمزيد من النقد والضخ المستمر لمزيد من الأفكار الجيدة والفاعلة، التي تساهم في بناء سياسة داخلية وخارجية بناءة في المجتمع تعمل على رفع مستوى الوعي لدى الأفراد وإلى تعزيز دور المؤسسات في المجتمع، فهناك توزيع الكتب الثقافية، وهناك مساعدة العاطلين عن العمل، وهناك إقامة مراكز ومؤسسات «للابتعاث» أو «لمساعدة وتوجيه وتوعية ومساندة المبتعثين»، وهناك التثقيف الصحي، وهناك إنشاء مراكز للتبرع بالدم، وهناك الاحتفاء بالمبدعين والمتميزين وتكريمهم وتشجيعهم وتيسير شؤونهم ومساعدتهم على الإبداع، وهناك إنشاء جماعات ومراكز لمكافحة الجريمة والمخدرات، وهناك إنشاء مراكز للفن وتشجيع للفنانين وتدريب لهواة الفن والمبتدئين، وهناك الإسهام في التقارب السني الشيعي، وهناك تكوين جماعات للتدريب والتعليم ومكافحة الجهل والتخلف والأمية وتعزيز حب المعرفة والرغبة في التعلم لدى أفراد المجتمع، وهناك التجمع

لإنشاء مواقع إلكترونية توعوية أو خدمية أو تعليمية أو تكوين جماعات منتجة لقوالب المعرفة والبرامج والأفلام الثقافية والتعليمية والأخلاقية، وهناك إنشاء وإقامة وتشجيع مختلف مؤسسات المجتمع المدني المواكبة للتطورات الحضارية المستمرة ...الخ. فكل ذلك عندما يدخل في صميم ثقافتنا سيبدأ بتغيير مواضع الخلل فيها... ثم سينقلنا ذلك تدريجيًا لمزيد من التنوير والحديث عن «دور المبادرات» والبحث عن المزيد منها. ليس عيبًا أن تختلف السياسة والثقافة لكن العيب أن يكون كل طرف معوقًا في طريقة تنمية الآخر..

إن المجتمع الميت أو المتخبط ثقافيًا مهما تحدثنا له بشكل سطحي عن المبادرات، فإنه يبقى رغم ذلك غالبًا كالجثة الهامدة أو المريضة – ما لم يتم تغييره ثقافيًا بطريقة ما، أو توريط بعض أفراده وإقحامهم في المبادرات من قبل بعض القوى الفاعلة والذكية والواعية والحاذقة بطريقة أخرى-، فلا حراك إيجابي حينها ولا فعل جيد ولا إنتاج فعَّال. لأن ذلك المجتمع ببساطة ليس غالبًا مجتمعًا متخاذلاً عن العمل والإنتاج والفعل – بالنظر لتكوينه العام -، بل غالبًا ما يكون المجتمع المعني فاعلاً ومنتجًا كأي مجتمع بشري آخر يتفاعل تلقائيًا مع نفسه ومع ما حوله بالشكل الطبيعي ليكون حيًا فاعلاً منتجًا، لكنه حينما يتخبط في ظلمات ثقافة سيئة قد لا ينتج سوى الألم والخوار والهذيان وأشياء كثيرة من ذلك النوع من ثقافته البالية والمريضة كتمزيق نفسه أو تدمير ما حوله. فالمجتمعات دائمًا وأبدًا ما تكون فاعلة ومبادرة بشكل طبيعي وتلقائي – ما لم تشغل أو تعاق عن ذلك بسبب ما -، فلا يمكن أن تموت أو تخبوا المبادرات في المجتمعات البشرية بذلك الشكل الموهوم والمزعوم أو المبالغ فيه لدى البعض، والقضية قد لا تعدو فقط ببساطة أن يكون هناك إبرة بوصلة ثقافية مختلة تشير في الاتجاهات الخاطئة حتى يتم لها التعديل أو التصحيح، وقد تكون هناك أيضًا في الوقت نفسه معوقات طبيعية أو مفتعلة، تحد من قدرة الأفراد على خلق وإطلاق المبادرات، تصاحب ذلك التخبط الثقافي، بحاجة أن تحارب أو تحجم.

في كل العصور وفي كل الأزمان وفي كل الأوقات وفي كل المجتمعات، ومهما كان الاختلاف، ومهما كانت المعوقات، فدائمًا هناك «مبادرات» و«فعل» و«حراك» و«نشاط» اجتماعي متقد، لكن القضية غالبًا ما تكون أننا قد نتحرك أحيانًا في اتجاهات خاطئة أو في الاتجاه الخطأ، أو قد نبالغ في تعزيز فعل ما على حساب أفعال أخر.

وأكثر ما أخشاه أن تختل كفتا الميزان فتختزل أو تلغى قيمة الفعل الثقافي التوعوي والتنويري لدى بعضنا لصالح تطلعنا للمبادرات، وأن ننسى أننا أمة قد خرجت للتو من «محرقة الإرادات» أو ربما أطلت فقط برأسها أو بجزء من بدنها وباقي الجسم ما زال يحترق بنار الظلمات، إذ ما زلنا بحاجة لمزيد من التنوير كي تزدهر وتورق المبادرات الفاعلة في المجتمع بماء الوعي ومعية البصيرة.

الثقافة والسياسة خطان متوازيان لكنهما يتقاطعان بل وينحني أحدهما للآخر لكي تنشأ أجمل القطع المستقيمة حوالينا.

«الثقافة» هي العنصر الأبرز والأهم في معادلات التغيير الجيو سياسي للمجتمع

الثقافة والسياسة خطان متوازيان لكنهما يتقاطعان بل وينحني أحدهما للآخر

تشغل بال الفرد في القرن الواحد والعشرين ولاسيما في عالمنا العربي، استغراقات تأملية في إشكاليات وجدليات باتت كعقد متأصلة في جسد الأمم التي تكافح من أجل المحافظة على أصالة وجودها ونقاوة أثرها التاريخي والمعتقدي والقيّمي.. في وجه بحر متلاطم كرسته واقعية العولمة التي ما زال العالم منقسمًا إزاءها.. بين مادح وناقم.

تختلف هذه التأملات في ميدانها وإنجازها حسب طوبغرافيتها وظروف منبتها، ولعلنا نأخذ أحد هذه التأملات التي شغلت إلى حد كبير كُتاب العالم العربي.. ألا وهو جدلية العلاقة بين المثقف والسياسي في العالم العربي، المشدودة دائمًا بمقارنة ذات العلاقة في العالم الغربي..

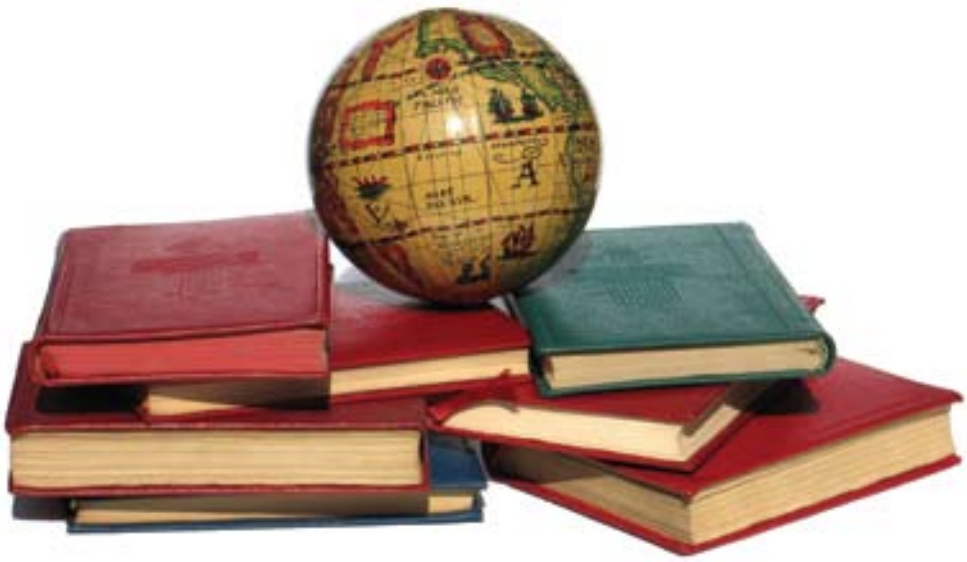

السياسي والمثقف في العالم العربي:

من يؤثر.. ومن يتأثر..؟!

عمر غانم محمد
ماليزيا

قبل الدخول عميقًا في مناقشة هذه العلاقة المقارنة، لابد أن نأتي بتعريف ولو عام وبسيط لمعاني المثقف والسياسي، وكذا العلاقة بينهما..

فالمثقف.. هو الإنسان الذي يجيد أحد أو عدد من عناصر المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاقيات وغيرها.. فهمًا واستنتاجًا وتوظيفًا لنتاجها الذهني، القادر على ترجمتها وعكسها، مولدًا أشكالاً إبداعية لمختلف الآداب والفنون والعلوم والتقنية.

واضعًا لبنة في صفوف لبِنات البناء الأعم والأشمل لموروث وسطه الفكري، الذي يشكل بدوره مع العنصر المادي النتاج الحضاري للمنظومة الاجتماعية، التي ينشط وسطها هذا المثقَف بفتح القاف، والذي يمكن أن يضيف القيمة المضافة المنتظرة منه، إن ما كان مثقفًا بكسر القاف للإنسانية، إن ما أخلصناَ بالقطع، بالنظرة للنية وراء هذه العملية النسبية.

أما السياسي.. فهو الإنسان الذي يمتهن الطرق والوسائل غير المباشرة القادرة على إدارة مجموعة من البشر، بالاتجاه الذي تحدده عناصر البرنامج الذي يتصرف به وبموجه، بمنهجيةً تكنى بـ«السياسة».. ولغايات تدعى «أهداف السياسة». ولقد شاع الكثير من التعريفات لهذا المصطلح «السياسي»، فمنها ما وجدته أنه مسمى لحرفة، ومنها ما وجدته موهبة أو صفة، وإن لم يكن صاحبها سياسيًا بالعنوان أو بالتطبيق والغاية.

وأخيرًا فإن تعريف العلاقة بين السياسي والمثقف، يراه الكاتب، محورًا محركًا لدورة جدلية الصلة التي يتبادل التهم حول اتجاه التأثير فيها، بين من يدعي التأثير استئثارًا، وبين من يتظلم المؤثر.. وهما المثقف والسياسي.

وهكذا فقد آن لنا أن ندخل في عمق هذه الجدلية ضمن الجغرافية العربية ابتداءً، والتي تتنوع فيها اتجاهات وانحدارات السياسيين والمثقفين على السواء، تبعًا لمدارسهم الفكرية وتوجهاتهم العقادية ومناهج ونوع السياسومجتمعية التي ينبعون منها.

لكن هذه التشكيلة المنوعة المتجاذبة أحيانًا والمتنافرة أحيانًا كثيرةً أخرى، يجمعها على الدوام قاسم مشترك، وصم لدهور من الزمن، علاقة المثقف بالسياسي بوصمات الندية والمنافسة الوجودية.

ولهذا أسبابه.. فلقد كانت غالبية المدارس العربية السياسية دون أن نعمم بالمطلق، مدارس انعكاسية ولم تكن توليدية عبر استنساخ تجارب الآخرين غير العرب شرقًا ووسطًا وغربًا، وبالتالي فقد تنافرت منذ لحظة الولادة مع عنصر وموروث الثقافة العربية الولّاد الجزيل العطاء للإنسانية شرقًا وغربًا، وهو ما غرس عنصر التهديد الوجودي في منظور معظم السياسيين العرب دون تعميم، تجاه الموروث الثقافي المتجلي بمثقفي العالم العربي الحقيقيين على قلتهم.

وبسبب هذه الندية الموغلة، خرجت لنا نماذج عجيبة من السياسيين المُستثّقفين، وكذلك من المثقفين مُستسيسين، يسعى كل منهم لوأد الآخر، والنموذجان في الغالب يقارب بينهما هدف إلغاء المثقفين الحقيقيين. وكمكمل لهذا الطريق أنتجت لنا الأدوات السياسية العالمية، أدعياء للثقافة العربية، في طريق طمس أصالة الثقافة هذه، وإنكار دورها الإنساني العالمي، وحرفها باتجاه تسفيه القيّم العربية وتبديد حقوقها الثابتة، وهو ما تجلى بشكل اصطلح على تسميته بـ«المثقفين العرب الليبراليين الجدد»، الذين خرجوا علينا بنتاج مسخ انقلابي وتابع، لا يجيد إلا انتقاد السلطة، وتسفيه القيم العليا للقومية والدين، وتفريغ العروبة من محتواها، عبر ترصد وتسقيط أخطاء وكبوات السياسيين العرب، ومدها لتكون مقياسًا للشعب العربي، الأمر الذي أجج وبرر حملات هؤلاء السياسيين الساعية لنحر الثقافة وعناوينها، بعد أن رقت في ذهنهم فكرة قياس أقلام المثقفين بصرف النظر عن منهم، على مقياس بنادق الانقلابين.

بين هذا وذاك، ظلت العلاقة بين المثقف العربي الحقيقي والسياسي، تعاني مرضًا مستأصلًا اسمه «الحساسية والاستبدالية الهدامة»، ما ولّد جوًا مشجعًا على هجرة المثقفين إلى حيث العالم الغربي، الذي كثيرًا ما كان وظل يرعى المثقف الحقيقي المحلي والمهاجر على السواء، بسياسات رعوية منتظِرًا ومقيمًا ناتجهم الثقافي، على أنه

عنصر بناء للمجتمع، وصاقل لتجربة البلاد السياسية، وناتجها الاقتصادي والإنساني.

واستنادًا لهذه المفارقة الدرامية، نبع واجتهد وأبدع مثقفون عرب بحجم إنتاج ثري مُغني لحركة الثقافة العربية، رغم عيشهم وتجنسهم بمسميات دول غربية غريبة، حيث شجع وحسن هذه النتيجة، وجودهم بعيدًا عن طائلة يد سياسيي أمتهم،.. وهنا يكمن السر!!.

وعلى الجانب الآخر وتحديدًا في العالم العربي، فقد طفا على السطح، جيل من المُستثّقفين العرب، الذين صاروا أبواقًا للسياسيين ومتزلفين للسلطة، لا يجمعهم بمعنى الثقافة غير كنايات تطلقها عليهم صفحات السياسيين الإعلامية.

إلى جانبهم.. جيل آخر من المثقفين العرب الحقيقيين، المغلوبين على أمرهم، مآثرين على نفسهم، ومحافظين على الدوام على مسافة الأمان، بينهم وبين مركبة السياسي.. اتقاءً لشر الغمط والتكميم وغيرها من عواقب التقاطع مع السياسي المعروفة في عالمنا العربي.

وأمام هذا الواقع الأليم، قد لا يكون بوسعنا أن نكون جدُ متفائلين، بإمكانية إصلاح شكل هذه العلاقة بين السياسي والمثقف، ما لم تسهم عوامل تعرية الزمن والإنسان، في صقل حجر السياسة والسياسيين في العالم العربي، أملاً بإنتاج شكل جميل ولو بحده الأدنى، لتكامل بين السياسي والمثقف، يرى عبره السياسي المثقف رديفًا، لحركة الإحياء والتقدم، وليس معول الهدم ومرآة العيوب وحسب.

الدبلوماسي

العلاقة بين المثقف الحقيقي والسياسي، تعاني مرضًا مستأصلًا اسمه «الحساسية والاستبدالية الهدامة»

يرى البعض أن العلاقة بين المثقف والسياسي يمكن تلخيصها بمقولة الفيلسوف الكبير «طاغور» عندما قال «لا يمكنك أن تصافح قبضة» أي أن المثقف الذي ينشد الاستقلالية يحاول أحيانا أن يمد يده ليصافح يد السياسي المغتاظ والحانق، فيقوم الأخير بمد يده غير المفتوحة، ويصاب المثقف بصدمة مهوّلة عندما يكتشف أنه لا يستطيع أن يصافح قبضة!

العلاقة بين فكر المثقف وقبضة السياسي

أحمد أبو زيد
القاهرة

تناول الشاعر الروسي جوزيف بروتسكي، الحاصل على جائزة نوبل للآداب، العلاقة بين المبدع والسياسي فقال «إن هناك سوء تفاهم بين هذين الطرفين، ويرجع ذلك إلى أن المبدع يمثل الدائم الأبدي فيما السياسي يمثل المؤقت والراهن، والضغينة التي يحملها رجال السياسة على المثقفين والمبدعين، مردّها إلى أنهم يشعرون بأهمية هؤلاء المثقفين. فالسياسيون، يدركون أنهم عابرون على الرغم من كل الضجيج الذي يحيط بهم، وعلى الرغم من استيلائهم على الحاضر، إلا أنهم يشعرون بأن المثقفين والمبدعين يستولون على المستقبل وعلى الزمن بكامله.»

لكن آخرين يرون أنه ليس من الضرورة أن تكون هناك قطيعة كاملة بين المثقف والسياسي، فالعلاقة يمكن أن تكون علاقة تكاملية إذا كانت تتم في مناخ صحي وفي بلد ديمقراطي متقدم. وبناءً على ذلك، لا يمكن تجاهل العلاقة الوثيقة بين السياسي والمثقف، حيث لا سياسة بدون ثقافة، ولا معنى للثقافة بدون تجسيد عملي من قبل السياسي في برامج عمله، ومن ثم ترجمتها في الواقع العملي لنضاله اليومي.

ويشير البحث العلمي إلى أن «القطيعة» في «العلاقات» بين «المثقفين» و«السياسيين» ليست أمرًا مسلمًا به، ومراجعة التاريخ العربي تظهر «أنماطًا» متعددة متباينة من «العلاقات» بينهما.

ففي العهد العباسي دفع المثقف الكبير «عبدالله بن المقفع» حياته ثمن محاولته «عقلنة» و«ترشيد» السلطة الجديدة الظافرة التي أيدها. فقد اختلف مع الخليفة العباسي المنصور، وقيل أيضًا أنه ألف كتاب «كليلة ودمنة» تعريضًا بالمنصور وتلميحًا إليه، فأوغر صدره عليه، ورماه خصومه بتهمة كانت شائعة في تلك الأيام وهي تهمة الزندقة، ورغم ثبوت براءته منها، إلا أن والي البصرة «سفيان بن معاوية المهلبي»، الذي كان يحقد عليه، أمر بقتله، فقطع جسده قطعًا قطعًا ورماه في التنور، وكانت آخر كلماته: «والله

إنك لتقتلني؛ فتقتل بقتلي ألف نفس، ولو قُتِل مائة مثلك لما وفُّوا بواحد». وهكذا راح الأديب العبقري والإنسان الفاضل، ضحية السياسة والخلافات السياسية داخل الأسرة العباسية.

وهكذا، قتل ابن المقفّع وهو في مقتبل العمر، ولم يتجاوز السادسة والثلاثين عند موته، فيما تراوحت مواقف مثقفين آخرين - في المراحل المختلفة- بين تأييد السلطة، أو الحذر منها والابتعاد عنها، أو معارضتها، أو الابتعاد كليًا عن الاهتمام والتدخل في السياسة لدواع عديدة.

وقبيل منتصف القرن الثامن عشر، تحالفت ثقافة الشيخ الفقيه «محمد بن عبدالوهاب» مع الحنكة السياسية لأمير «الدرعية» «محمد بن سعود»، في مشروع توحيد نجد والجزيرة العربية، ونجح التحالف في إنشاء دولة مترامية الأرجاء ومتينة الأركان وقوية البنيان.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي، حفزت المواجهة مع الغزو الاستعماري الغربي، الأذهان والعقول للبحث والتساؤل عن مسببات التخلف والعجز من جهة، واحتياجات التقدم والنهوض وامتلاك القدرة من جهة أخرى، وهو ما دشن ما يعرف بعصر النهضة الذي تواءم فيه المثقف الجديد ممثلاً في رفاعة الطهطاوي مع السياسي الجديد ممثلاً في والي مصر محمد علي باشا في مشروع التغيير والتحديث الذي باشره الأخير.

وفي القرن العشرين، حينما كانت معظم البلاد العربية محتلة أو تحت الهيمنة الاستعمارية، وقف السواد الأعظم من المثقفين مع السياسيين الشرفاء من أبناء وطنهم في النضال من أجل التحرير والاستقلال ومن أجل النهضة والتحديث. واستمر الحال على هذا النحو من التكامل بين المثقف والسياسي في مرحلة بناء الدول الوطنية في عهد الاستقلال.

وفي ظل ما واجهته عمليتا الاستقلال والبناء من اختيارات متعددة في قضايا: الهوية، والتراث، والحرية، والعدالة، والوحدة، والمشاركة الشعبية، والسلطة، وإيجاد وإدارة الموارد، والمعرفة، والحقوق، والتغيير المنشود عمومًا، كان طبيعيًا أن تتعدد الاختيارات والإجابات، وأن تتمايز، أو تتلاقى، أو تتصادم، أو تتهادن مواقف السياسيين والمثقفين إزاءها.

وفي العقود الأخيرة، وفي ظل العجز الشامل والتشرذم العربي، والانفراد بالسلطة، وعودة الاستعمار غير المباشر، تفاقمت أزمة المثقفين العرب، وتراجع كثيرًا ثقل وعدد المثقفين المستقلين المنتجين لمعرفة ورؤية عربية ووطنية أصيلة، وظهرت، للأسف، فئة جديدة تقدم موضوعات وحلولاً منطلقة أحيانًا من «أيديولوجيات» غربية أو «أجندات» ذات تمويل أجنبي.

في ضوء كل هذا، نستطيع أن نقول إن علاقة «المثقف» بـ«السياسي» أعقد وأعمق وأكثر تنوعًا من أن تختزل في حدي «القطيعة» و«الاتفاق».

فالمثقف - كما السياسي- مدعو إلى «الاستقلال» وتأسيس «مرجعيته» الخاصة التي تغني الإنسان والحياة والوجود العربي، والإنساني عمومًا، وتوسع الآفاق برؤى خلاقة تعين على الخلاص من البؤس المهيمن وتدفع لإحراز عالم أفضل. وهذه الرؤى، والمشاريع التي تنبثق منها، هي التي ينبغي أن تقرر نوعية وحدود العلاقات بين المثقفين والسياسيين أيًا كانت مواقعهم في السلطة، أو المعارضة.

ومن هنا تأتي الدعوة إلى «المثقف المسيس» و«السياسي المثقف» المنشغلين بالشأن العام والحاملين، كل في مجاله، لمشروع التغيير والتجديد المعبر عن طموحات وتطلعات الأمة.

دور المثقف والسياسي في المجتمع

على الرغم من أن هناك ضرورة للتفريق بين مفهوم المثقف ومفهوم السياسي، إلا أن هذه الضرورة لا تعني إثارة الضغينة أو العداء أو الحساسية بين هذين العنصرين الاجتماعيين الفاعلين. ويقودنا هذا إلى ضرورة تشخيص وتحديد وظيفة كل واحد منهما «المثقف/ والسياسي» وكيفية عملهما من ناحية الوسيلة والمنهج.

فالمثقف، ونعني بذلك المُحترف، بصورة عامة هو ذلك الشخص الذي يحمل رؤية موسوعية واسعة تتضمن المجالات كافة، بما فيها التاريخية والاقتصادية والفلسفية والسياسية والعلمية والفنية والأدبية، وإنْ تخصص في واحد أو أكثر من هذه المجالات. والمثقف من ناحية أخرى صاحب مشروع نقدي كبير يتواصل معه مادام حيًا، بمعنى أن المثقف إذا توقف عن طرح الأسئلة فَقدَ صفته الأساسية وتوفي «دماغيًا»! والهدف من مشروع المثقف هو المساهمة في نقل الحياة والناس من حالة الازدراء والإكراه والابتذال والالتباس إلى حالة الزهو والحرية

يشير البحث العلمي إلى أن «القطيعة» في «العلاقات» بين «المثقفين» و«السياسيين» ليست أمرًا مسلمًا به، ومراجعة التاريخ العربي تظهر «أنماطاً» متعددة متباينة من «العلاقات» بينهما.

المثقف إذا توقف عن طرح الأسئلة فَقَدَ صفته الأساسية وتوفي «دماغيًا»!

والرقي والصفاء، أما الوسائل التي يحقق بها مشروعه فلا تخرج أبدًا عن مستوياتها الإنسانية النبيلة الشريفة.

وإذا عرّفنا المثقف وفقًا لمشروعه ووسائل تحقيقه، فإن السياسي وفقًا للنقطتين نفسيهما هو حامل مشروع سلطوي يبتغي أول ما يبتغي الاستحواذ على السلطة بطرق شرعية أو غير شرعية، وغالبًا ما يهمل السياسي نوعية الوسائل التي يستخدمها من أجل ذلك أو يسعى إلى تبريرها إن كانت شريرة حسب نظرية ميكافيلي «الغاية تبرر الوسيلة».

ومن هنا يظل المثقف في موقف مرتاب وحساس من صلاحية وشرعية ووسائل السياسي، وبالمثل يظل السياسي في خشية وروع من أسئلة المثقف الكاشفة. ويعتقد البعض أن تحول المجتمعات بوجه عام إلى مجتمعات مدنية متحضرة، عبر صناديق الاقتراع والمؤسسات القانونية والدستورية التي تحترم حقوق الإنسان، قد قرب المسافة بين المثقف والسياسي.

وكم ستبدو هيئة السلطة بديعة وبهية إذا ما احترمت أصوات المثقفين الحقيقيين وانتصرت لإراداتهم، وكم سيكون رائعًا إذا ما أحاطت نفسها بهم. ويجدر بنا هنا أن نلفت النظر إلى مثال، ينبغي تأمله واستلهامه، يعود تاريخه إلى القرن الماضي في فرنسا. فقد أحاط الجنرال ديجول نفسه بمثقفين مرموقين كالروائي والفيلسوف أندريه مالرو «وزير الثقافة» والسياسي المثقف جورج بومبيدو «رئيس الوزراء».

ويروى عن الجنرال ديجول أنه جاءه ذات يوم، إبان الاضطرابات الطلابية والعمالية التي اجتاحت بلاده في مايو ١٩٦٨م، قائدُ شرطة باريس ليخبره بأن الفيلسوف جان بول سارتر انضمَّ إلى المتظاهرين ويرمي الشرطة بالحجارة ولذلك يستأذن الرئيس في اعتقاله، فرفض رفضًا قطعيًا اعتقال سارتر «المعارض» ووبَّخ رئيس الشرطة قائلاً: «هل تريد أن يقال عنِّي إنِّي اعتقلت فولتير؟» – في إشارة لمكانة سارتر الموازية لمكانة المفكر الفرنسي فولتير، ما يعني الاحترام الفعلي للمثقَّف الحقيقي، حين يكون في السلطة، لنفسه ولذلك الآخر الذي يُخالفه ويُعارضه، فيتعامل معه بكل احترام وندية. وإذ ذاك فقط، يصبح من الممكن جدًا أن تتجسد على أرض الواقع تلك العلاقةُ المثاليةُ المرجوةُ بين المثقف والسلطة.

نموذج المثقف السياسي

في كتابه «المثقف السياسي.. بين تصفية السلطة وحاجة الواقع»، تناول المؤلف عادل عبدالله، وهو شاعر وناقد معني بالدراسات الثقافية، طبيعة هذا المثقف، فذكر أن «المثقف السياسي ليس شبيهًا في بنيته الذهنية والأخلاقية بسواه من المثقفين غير المعنيين بالسياسة، وموضع اختلافه عنهم هو استسلامهم ورضاهم بما يحدث لهم انطلاقًا من عجزهم عن استحضار وسائل مقاومتهم لفعل السلطة الجائر، في حين يسخِّر المثقف السياسي إنتاجه الثقافي لمقاومة ظلم السلطة، ويدفع في كثير من الأحيان ثمنًا باهظًا من حريته نتيجة هذه المقاومة».

وفي ضوء هذا التعريف يصبح «المثقف السياسي هو ذلك النموذج الذي ينتمي إلى المجتمع ويعبر عن ثقافته، وعن وعيه، وهو الناطق السياسي، الذي يدعو، باسم المجتمع، إلى استرجاع المصالح واستعادة الحقوق الخاصة بعد أن عملت الأنظمة السياسية على مصادرتها». ومن ثم، يرتبط المثقف السياسي والمجتمع بعلاقة حميمة تاريخية وأخلاقية وحضارية وسياسية أيضًا، الأمر الذي يدعونا إلى الجزم بأن المجتمعات الحالية لبلدان العالم الثالث لم تعد بحاجة إلى مثقف لا يكون معنيًا بها، وبالتعبير عن مصالحها.

وبناءً على ذلك، يمكن تلخيص بعض مهمات المثقفين في المجتمع المعاصر الآن، في «الكشف عن مركبات الواقع الحضارية والسياسية وتحليلها وتعريف الناس بطبيعة السلطة وأنظمة علاقاتها وأشكال نقل قراراتها إليهم وسبل تنفيذها وسبل انقياد الناس وإذعانهم لها وطرق استرجاع الناس لحرياتهم وضرورة مساهمتهم في صنع القرارات الخاصة بهم».

ويؤكد المؤلف «أن أي تنظيم سياسي حقيقي فاعل يحظى بثقة المجتمع وبإجماعه على تمثيل إرادته والنيابة عنه، ينبغي أن يكون منبثقًا من رحم المجتمع وتاريخه وحضارته وعقيدته وتقاليده الروحية والمادية، أو بعبارة جامعة لكل هذه التفاصيل ينبغي أن يكون منبثقًا من ثقافة ذلك المجتمع».

حينما يصبح المثقف زعيمًا سياسيًا

قد ينخرط المثقف في مؤسسات السلطة، ولا

ضير في ذلك شرط أن يظل راشدًا، لا يحركه في فضاء عمله ونشاطه غير عقله وضميره.

والسلطة، أيّ سلطة، في حاجة إلى المثقف، ولكن المثقف ليس في حاجة لأيّ سلطة، خاصة إذا كانت غاشمة. فالشاعر والمثقف ليوبولد سيدار سنغور وصل سدة الحكم في السنغال، وبقي فيها دهرًا، إلا أنه حين «فشل» في تحقيق طموحاته وآماله تخلى عنها راضيًا مرضيًا، فهو لم يكن بارعًا في السياسة والحكم مثل براعته كشاعر وكاتب، ولذا ذهب إلى حقله يرعى فيه. وقد سئل الرئيس السنغالي الراحل ليوبولد سيدار سنغور في أحد الأيام عن الخيار الذي ينحاز إليه، بين أن يكون سياسيًا أو أستاذًا جامعيًا أو شاعرًا، فأجاب: «أختار قصائدي فهناك الجوهري».

وفي السبعينيات من القرن الماضي قدّمت لنا الأرجنتين مثالاً آخر بطريقة مختلفة حين تنازل شاعرها العظيم بابلو نيرودا، المرشح اليساري، لمنافسه المثقف سلفادور الليندي، المرشح الاشتراكي، ليفوز الأخير مما خلق نوعًا من التحالف العجيب بين الحزبين المتنافسين. وربّما أدرك بابلو بحس الشاعر أن أمر السياسة سيكون عصيًا عليه، وأن صديقه الغريم الليندي هو الأفضل، رغم أن بابلو قيادي في حزبه وله جمهور قلما يتوفر لشاعر – ففي أمسية شعرية حضر للاستماع له مائتا ألف من محبيه مما دعاه إلى القول : «عندما تقرأ شعرًا أمام هذا العدد من الناس فلا بدّ من أن تصبح شخصًا آخر». ورغم أن انتصار هذا «الآخر» كان مضمونًا في عملية الاقتراع، إلا أنه فضّل إضافة رصيده لرصيد منافسه، لكن المؤسف أن الأيادي «الخارجية» الكارهة لمصلحة الوطن دبرت انقلابًا عسكريًا راح ضحيته «المثقف»!

ومن ناحية أخرى، يعتقد البعض أن انتخاب الرئيس الأمريكي باراك أوباما لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية قد فتح نافذة عظيمة للأمل، فمن الآن وصاعدًا سيكون من حقّنا القول بأن المثقف، إن امتلك الأدوات اللازمة، سيكون سياسيًا عظيمًا، على الأقل من خلال ما قدمه أوباما أثناء خوضه معركة الانتخابات حين استطاع بثقافته العميقة ومواهبه السياسية الفذة أن يلهم الشعب الأمريكي لتغيير وجه أمريكا، ومن خلال بعض قراراته فور توليه مقاليد الحكم في البلاد، مثل قرار إغلاق معتقل «غوانتانامو».

العلاقة بين المثقف والسلطة في المنطقة العربية

يرى البعض أن العلاقة بين المثقف والسلطة في منطقتنا العربية، يمكن تلخيصها في أمرين بارزين:

أولاً: أن التقلبات السياسية المتعاقبة عطلت تكوين تيار متصالح مع السلطة ومشارك لها، وهنا يمكن أن نلوم الأنظمة التسلطية التي اضطهدت المثقف أو همشته، وأن نلوم الأخير كذلك لأنه عجز عن تقديم نفسه بشكل مستقل –من الناحية السياسية– وظل على الدوام يلعب دور المعارض الصامت، والصريح في أحيان أقل.

ثانيًا: يندر أن تجد نموذجًا لمثقف عربي استطاع أن يقدم لجمهوره نموذجًا سياسيًا واعيًا، وهنا علينا أن ندرك أن هنالك فرقًا بين إبداع المثقف –سواء كان ذلك أدبيًا أو فلسفيًا أو حتى صحفيًا– وما بين خيارات ذلك المثقف السياسية، ومواقفه أو آرائه تجاه السياسة الداخلية أو الخارجية لبلده. ففي العالم العربي برز لدينا مثقفون متميزون في إنتاجهم، ولكن الرصيد العام لمواقفهم وخياراتهم السياسية سلبي، وفي أغلب الأحيان غير ناضج، ولهذا لم يتكون لدينا تيار عام ثقافي يضع الأساس للمصالح الوطنية والشعبية، ويحدد نقاط التوافق الكبرى مع السلطة السياسية، وهوامش الاختلاف السياسي فيما بين الطرفين. والمحصلة أن المثقف أصبح همه الرئيسي في بعض الحالات أن يقدم نفسه في دور الضحية للأنظمة السياسية المتعاقبة، ففي فترات التوتر يسجن لأجل تأييده لحركات «راديكالية» تهدد بقاء السلطة، وفي فترات السكون يتفرغ لكتابة مذكراته عن سنوات الاعتقال الرهيبة.

وبوجه عام، تظل العلاقة بين المثقف والسياسي محلاً للمد والجزر، فيعلو شأن المثقف أحيانًا إذا كان إبداعه لصيقًا ومعبرًا عن الشعب وهمومه وطموحاته، ويعلو شأن السياسي أحيانًا أخرى حينما ينجح في التغلغل في نفوس شعبه ويدرك حجم همومهم وتطلعاتهم ويسعى جاهدًا وصادقًا لتحقيقها، وإذا سادت حالة من الحميمية بين الطرفين، ثار كثير من التساؤلات التي لن نجد لها أجوبة إلا من خلال الإطلاع على أحوال المجتمع!

الدبلوماسي

هنالك فرق بين إبداع المثقف وما بين خيارات ذلك المثقف السياسية، ومواقفه

المراجع:

١– المثقف السياسي.. بين تصفية السلطة وحاجة الواقع: عادل عبدالله، دار الفارابي بلبنان.
٢– ابن المقفع، الموسوعة الحرة «ويكيبيديا».
٣– ليوبولد سنجور، الموسوعة الحرة «ويكيبيديا».
٤– لماذا هذا الجدار بين المثقف والسياسي!!؟ سلمان بارودو.
٥– أبدية المثقف... وراهنية السياسي– شوقي بزيع– العدد السابع– كانون الثاني٢٠٠٦م.
٦– المثقف والسياسي... سؤال العلاقة؟ بسام الهلسة – نشر ٢٠٠٨/٩/١٩م.
٧– السلطة السياسية واحترام المثقف– مهدي النجار –الحوار المتمدن – ٢٠٠٨/٣/٢٣ م
٨– المثقف والسياسي– مهدي النجار – الحوار المتمدن – ٢٠٠٨/٥/٣١ م
٩– المثقف السعودي بين السياسي والسياسة، عادل بن زيد الطريفي، صحيفة «الرياض»، ٢٠٠٧/٦/٦م.

أتحدث هنا عن التنوير باعتباره التغيير الذي حدث أولاً في أوروبا وأمريكا ولاحقاً في كل العالم بنسب شديدة التفاوت. حدث هذا التغيير تدريجياً منذ القرن السابع عشر الميلادي ولا يزال مستمراً في مرحلة واسعة تسمى أحيانًا بالحداثة وأحيانًا بالتنوير، وبعض الباحثين يخص مسمى التنوير بالقرن الثامن عشر تحديدًا. بالنسبة لي فالتنوير يشمل كل هذه الفترة باعتبارها تنتمي لنظام معرفي واحد ولم تحدث قطيعة معرفية معه حتى الآن.

المثقف والسياسي..

إيجابيات الفكرة وبناء المتغير

عبدالله المطيري
الرياض
كاتب صحفي

السؤال المطروح هو عن منجزات هذا العصر المشاد به. وهل الحديث عنه هنا هو من باب الدعاية المجانية والموضة الفكرية أم ماذا؟ شخصيًا لدي قناعة كبيرة بأن هذا العصر أحدث في حياة الإنسان الكثير من التغييرات الإيجابية في الأساس وإن لم تخل التجربة كأي تجربة بشرية من خلل. والخلل الذي أحدثته هذه التغييرات تم الكشف عنه ومحاولة إصلاحه داخل هذه الثقافة تحديدًا. على كل حال فإن تغييرات عصر التنوير هي تغييرات في الواقع وليست في الخيال. الحياة اليومية المعاشة تغيرت. الأنظمة المعرفية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية تغيرت. عن هذه التغييرات أريد أن أتحدث. مشغول ومهموم بحياتي اليوم وهنا.

ولكن ما علاقة سعودي عربي مسلم يعيش الآن وهنا بالتنوير في أوروبا منذ القرن السابع عشر؟ يطرح هذا السؤال كثيرًا ومن أكثر من جهة. وجوابي أنه مع أخذ كامل الاعتبار للظروف الخاصة بكل تجربة بشرية وسياقاتها التي تحققت فيها إلا أن هناك مشتركًا إنسانيًا وتأثرًا وتأثيرًا في التجارب الإنسانية هو الذي يعطينا المشروعية في التفكير في تجارب بشرية مختلفة من أجل التفكير في مشكلتنا الخاصة. التاريخ البشري يشهد بالكثير من حركات الانتقال والتأثير بين الثقافات والحضارات. يكفي هنا أن أستحضر تأثير الحضارة العربية والإسلامية في الحضارات الأخرى في الشام ومصر وإيران والمغرب، الأثر الذي لا يزال قائمًا حتى اليوم.

هذا من جهة حقيقة إمكان التأثير الثقافي وأن العلاقات بين الثقافات ليست مقطوعة أما من الجهة الأخرى أي جهة استحضار هذه التجربة بالذات فإنه يبرره عدد من المبررات. أولها أن المشتركات بين حالة ما قبل التنوير وحالتنا المعاصرة كبيرة جدًا وأساسية. ثانيًا أن تجربة التنوير هي التجربة الظافرة في هذا الوقت وهي التجربة التي تستلهمها كل الشعوب والأنظمة اليوم. فإن الشكل الظاهري لتنظيمات المجتمع أنها نتاج عصر التنوير. الدولة العربية الحالية هي في شكلها دولة التنوير. والجامعة والمدرسة العربية هي أيضًا في شكلها مدرسة التنوير ولكن هذه الأشكال مفرغة من مضمونها.

مع التنوير أصبح الإنسان الأوروبي والأمريكي يفكر بشكل مختلف. وهذا التغيير، الذي هو أعسر تغيير،حدث من خلال عدد من التغييرات الجوهرية. يمكن أن نضع لها عنوانًا وهو الانتقال من التفكير التسليمي

إلى التفكير الشكي. أو الانتقال من التسليم إلى الشك. وهذا انتقال هائل وعميق. كان الإنسان الأوروبي في العصور الوسطى، أو عصور الظلام، إنسانًا تسليميًا بمعنى أن يستقي معارفه وأفكاره من السلطات المعرفية الموجودة في ذلك الوقت ويأخذها مؤمنًا بها ومسلمًا، تابعًا لا دور له إلا في الطاعة والتطبيق. كانت السلطات المعرفية تتمثل في الكنيسة أساسًا وما استطاع أن يتأقلم معها من الأساطير والخرافات. كانت الفكرة الصحيحة هي تلك التي يقول بها رجل الدين بغض النظر عن هذه الفكرة. ما دام قال بها فهي صحيحة. والويل كل الويل لمن خرج عن هذا الطريق.

مع ديكارت تحولت المعرفة الصحيحة من أن تكون تلك التي تقول بها السلطات إلى تلك التي ينتجها الفرد ويقتنع بها. وتحولت مهمة الفرد من تبني الأفكار إلى إنتاجها وكل معرفة لم يفحصها الإنسان بنفسه، بعقله وبتجربته فهي معرفة مشكوك فيها ومرفوضة. هنا أصبح أساس المعرفة ومقياس صحتها هو العقل البشري والتجربة البشرية. وكل معرفة هي مشكوك فيها إن لم تستطع إثبات نفسها من خلال أدلتها وبراهينها العقلية والواقعية. مع هذا التحول سقط كثير من المعارف التي كانت تقدم على أنها حقائق لا مواراة فيها. هذا الأساس الفكري جعل كل التنظيمات الاجتماعية تقاس بهذه الشروط. فالدولة الحقيقية هي تلك التي تثبت نفعها واقعيًا وليست تلك التي تقرها الكنيسة. والاقتصاد النافع هو الذي يساعد على الإنتاج وارتفاع مستوى الدخل لا ذلك الذي تدعي الكنيسة أن الله أمر به والنظرية العلمية هي تلك التي تؤيدها الحسابات والتجارب لا وجودها في الكتاب المقدس ودعم الكنيسة لها.

مع التنوير أصبحت الفكرة تأخذ قيمتها من قوتها الاقناعية لا من قوّة مصدرها الذي أنتجها. وأصبح الفرد يمتلك الجرأة لكي يفكر باستقلال دون معونة أحد. كان شعار التنوير كما قال كانط «كن شجاعًا واستخدم عقلك». أصبح الشك في عصر التنوير هو منهج التفكير. كانت مهمة إعادة التفكير في كل المعارف السائدة هي المهمة الأساسية في ذلك الوقت وهذا ما تم إنجازه بنسبة كبيرة. تمت مراجعة وفحص المعرفة الدينية والمعرفة العلمية والسياسية والاقتصادية والتربوية... ويمكن القول إن كل هذه المعارف شهدت تغيرات نوعية وأصبحت معارف مختلفة مع عصر التنوير.

وإذا عدنا بالنظر إلى الحالة العربية الإسلامية نجد أنها حالة تشابه في كثير من الوجوه حالة ما قبل التنوير. فلا تزال السلطات المعرفية القديمة مسيطرة ولا يزال موقف الفرد من المعرفة التي تشكل عقله وتحيط به هو الموقف القديم. الموقف التسليمي الذي لم يعرف بعد طريق الشك المنهجي. فحين يحتاج الفرد منا إلى معرفة فإنه لا يقوم بمسؤوليته ويحاول أن ينتجها ويبذل الجهد لتحقيقها. ما يحدث أنه فقط يلجأ للسلطة المعرفية لتعطيه إياها ويقوم هو بمهمة الاتباع والتطبيق لا أكثر.

هذا واقع نعيشه يوميًا ويمكن الوعي به من خلال فحص علاقة الوالدين بالأبناء وعلاقة المعلم بالطالب وعلاقة رجل الدين بالمؤمن وعلاقة السلطة بالشعب وعلاقة المؤسسات الأكاديمية بالمعرفة والعلوم. هذه العلاقات تقوم على التراتبية القديمة. تراتبية التسليم بالسلطة المعرفية القائمة والتخلي عن الذاتية والفردية، أي التخلي عن الاستقلال الشخصي وفقدان الموقف والمعنى والقيمة.

الشك هو طريق التعلم والفرد الذي لا يشك لا يكون سوى تابع لمن قبله. وبهذه الحال فإن الأمور لن تتغير للأفضل باعتبار أن حركة التغيير القائمة على الإبداع والتطوير والتجديد لا يمكن أن تقوم بها العقول والأرواح التابعة والخانعة. ومن هنا فإن مهمة ممارسة منهج الشك في التفكير في الثقافة العربية الإسلامية هي محرك ووقود حياة وحركة هذه الثقافة، كما أنها على مستوى الفرد هي مفتاح الاستقلال وتميّز الشخصية وتحقيق القيمة الذاتية. والفرد الذي لا يشك فيما حوله من الأفكار والمعارف فإنه لن يكون سوى نسخة مشوهة ممن حوله.

تغييرات عصر التنوير هي تغييرات في الواقع وليست في الخيال

أصبح أساس المعرفة ومقياس صحتها هو العقل البشري والتجربة البشرية

بين المثقف والسلطة علاقة شائكة ومعقدة، وهي علاقة تاريخية، بدأت بعلاقة مع ما عُرف بظاهرة «أصحاب القلم» من كُتاب ومعلمين وفقهاء ووعاظ يغشون دواوين السلاطين والخلفاء والأمراء والولاة، ويمنحون الشرعية لسلوكياتهم مهما كانت متقاطعة مع مدلولات النص الشرعي.. حتى وصول مفهوم «المثقف الاصطلاحي» إلى ساحتنا الثقافية في عصر النهضة، بحمولته الغربية، ثم بحمولته العولمية، أو تلك التي تعتمد على اجترار مصدره اللغوي وعلاقاته المعرفية البحتة.

المثقف والسياسة:

المسافات وتعدد الأدوار

د. محمد سعيد
المؤسسة العربية للدراسات والأبحاث ببيروت

يمثّل المثقف في كل مجتمع صمّام الأمان الذي يحول دون حدوث الخرق السلبي الذي يمسُّ قضايا الوطن والمواطنة والحياة الاجتماعية، وهذا يعني أنَّ المثقفين يحملون مسؤولية ترتقي فوق أشكال الثقافة ومضامينها.

والبديهية، تفرض إلغاءً لكل مسببات تواجد ثنائية الصراع والتضادّ بين المثقف والسياسي، أو بين الحاكم والمحكوم، ومهما كانت التصنيفات والمسميات، مادامت مزايا العلاقة المفترضة قائمة، ليس بين خصمين لدودين، بقدر ما هي قائمة بين قطبي رحى تدور، ضمن محور أصيل، وثمة مادة داخلة، ونتاج مُخرجٌ، وجهد متواصل دون عارض ولا تنافر مقصود، فذلك منطق العضوية والفاعلية والتكاملية في الأدوار بين السياسي والمثقف، وساعتها فقط تصبح «السياسة، الثقافة، والسياسي المثقف» لكل الناس والمجتمع والوطن.

هناك أكثر من علاقة بين المثقف والسلطة، فكما تبدو العلاقة أحيانًا بينهما انتهازية ومصلحية، كذلك تبدو أحيانًا أخرى مرتبكة ومتوترة واستبدادية.. وبين هذه وذاك ثمة علاقة ثالثة تحاول أن تمرر علاقتها على حساب مشروعها الثقافي ولكنها في ذات الوقت تعطي مشروعية ثقافية لكل معاني تلك العلاقة مهما بدت غير أخلاقية وليس لها وجه إنساني.. وهو أساس الإشكالية التاريخية في مفهوم المثقف ومشروعه الثقافي، حيث يفقد أهم مقوماته في غياب هذا الوجه.

يمكن تصنيف تلك العلاقة التي تربط المثقف بالسلطة، على اعتبار أنها تنتمي إجمالاً إلى ثلاث حالات:

- أولها علاقة تحالف وانسجام بين المثقف والسلطة على نحو يجعل التمييز صعبًا بين السياسي والمثقف.. بحيث يكون بوقًا لها في مقابل منح مادية أو وظيفية..
- وأخرى علاقة قطيعة وتباعد تجعل المثقف عينًا على السلطة، وفي بعض الأحيان نقيضًا لها.. نتيجة عدم تقبلها لطروحاته النقدية وآرائه التقويمية..
- وفي حالة ثالثة وهي الأخطر أو الأكثر التباسًا وهي أن يكون المثقف مع السلطة وضدها في آن.. يد مع قضايا المجتمع وهمومه وآلامه ويد مع السلطة، حتى ترتب على تلك الموازنة الكثير من الخلط والاستغراق في نشاط قد لا يقود في النهاية سوى إلى مزيد من الالتباسات.. التي تستغرق زمنًا وجهدًا مضاعفًا لفك اشتباكاتها وعلاقاتها المتداخلة.. وتصبح مع الوقت مثار جدل بين مؤيد ومعارض، الأمر الذي ينعكس سلبًا على دوره الإصلاحي المنشود.

الفئة الأولى من المثقفين، أصبحت مع الوقت جزءًا من نسيج السلطة، وقد تبدو أحيانًا كثيرة من أدواتها.. ولا يعني هذا تشنيعًا عليها أو استنكارًا لأدوارها على الإطلاق.. إلا أنها بهذه الصفة قد تفقد أهليتها الثقافية، وقد تتحول مع الوقت إلى مقاول ثقافي يمرر اجتهادات السلطة عبر أدوات ووسائل معرفية..

وبغض النظر عن مدى مصداقية هذه الفئة أو نظرتها المنحازة للإنسان أو مصالحها الخاصة، ومهما بدت هذه الفئة المثقفة منحازة إلى مبادئها ووفية لقيمها، إلا أنها ستجد نفسها مع الوقت أسيرة تلك العلاقة، والتي سترتب عليها مع مرور الوقت الانجذاب إلى نسق السلطة وعلاقاتها وخصوماتها وحساباتها.

الفئة الثانية، هي تلك التي اتخذت منذ البدء أو على مراحل، الانفصال عن السلطة وجعلت بينها وبين السلطة مسافة كافية لاعتبارها في خانة المراقب أو المعارض أو الراصد.. وقد تبدو هذه الفئة وفية لمبادئها، مخلصة في الابتعاد من أجل أن تحافظ على وهجها ونقائها وطهوريتها.. لكنها أحيانًا تكون مصابة بداء العزلة والاستقالة من العمل العام وأعبائه، وتفضل أن تكون في الجزء الآمن من معادلة المثقف والسلطة.

الفئة الثالثة، يبدو لي أنها الأكثر تأثيرًا على مشروع التطوير والإصلاح، وربما أكثر تقدمًا أو تعطيلاً لمقدرة المجتمع على فرز الوجوه المثقفة ووضعها في مكانها الطبيعي، فهي فئة تحب أن تكون بعيدة بمسافة محسوبة عن السلطة.. لكنها قريبة بما يكفي.. فتكون لها وظيفة خاصة تجعل منها الفئة الضرورة والوسيط المناسب بين سلطة، تحاول بين وقت وآخر الاستحواذ على مزيد من المثقفين وتعمل جاهدة في وقت آخر على قمع الخارج على نسق الاستحواذ.

البديهية، تفرض إلغاءً لكل مسببات تواجد ثنائية الصراع والتضادّ بين المثقف والسياسي

هناك أكثر من علاقة بين المثقف والسلطة، فكما تبدو العلاقة أحيانًا بينهما انتهازية ومصلحية، تبدو أحيانًا أخرى مرتبكة ومتوترة واستبدادية

للقلم ولصاحبه عند العرب قديمًا وحديثًا معزة خاصة، فكم قيل في القلم وفي مهمته! فهو مسؤول اجتماعي وكذلك صاحبه، وهو سلاح يشهره صاحبه ويتحدى به كل أنواع القمع والتمييز والاحتلال والإذلال، وشاهدي على مسؤولية القلم وصاحبه ما جاء في التراثين العربي والغربي من أقوال ترفع من شأن القلم ومن شأن صاحبه وترسم له مهمته الاجتماعية والسياسية والعقلية والثقافية.

المعادلة السياسية بحاجة إلى وزن شعري

أحمد الهوشان
النادي الأدبي بالرياض

فهذا شاعرنا العتّابي يقول: ببكاء القلم تبتسم الكتب، والأقلام مطايا الفطن. وهذا الخليفة المأمون يقول: لله ذكر القلم كيف يحوك وشْي المملكة. وهذا أرسطو يؤكد على القلم ويقول: عقول الرجال من تحت أقلامهم. وهذا وليّ الدين يكن يسلّ قلمه في وجه السلطان عبدالحميد فيكتب له: لأهزّن به أركان قصرك هزا. وهذا فولتير الفرنسي الذي يواجه الملك فردريك البروسيّ الكبير فيتحدث قائلاً: لك صولجان ولكنّ لي قلمًا. وهذا شاعرنا ابن الرومي يقول:

بذا قضى الله للأقلام مذ بُريت
إن السيوف لها مذ اصلتت خدَم

وأخيرًا هذا قائدنا الفذ صلاح الدين الأيوبي يقول لجنوده: لا تظنوا أني فتحت البلاد بسيوفكم، بل بقلم القاضي الفاضل.

من هذه الأقوال، ومن غيرها نخلص إلى ما للقلم وصاحبه من مسؤولية ومن أهمية، إذا عرف المبدع كيف يوظفه. وفي زمن كزمننا، فيه يعلو صوت المدافع ويهدر صوت الطائرات وتمزق وجه السماء القنابل على شظياتها، تصبح المهمة أكبر -أعني مهمة القلم وصاحبه، تصير المسؤولية الملقاة على عاتقنا أكبر. من هنا أوجه هذا الكلام إلى أدبائنا ومبدعينا الذين يشكلون رافدًا مهمًا من روافد هذا الشعب، كلمة تحمل في ثناياها رؤية تنطلق من مسيرة هذا الشعب، ومن تجاربه ومن واقع حاله، مفادها: إن المبدع مهما تعددت مواقعه واختلفت، ومهما تنوعت تجربته وتلونت وتباينت، لم يعد ممكنًا له أن يقف خارج أحداث العصر الذي يعيش فيه. فالإنسان لا يستطيع أن يعيش في مجتمع وأن يكون حرًا من هذا المجتمع في آن معًا.

لم يعد كافيًا اليوم أن يجلس المبدع على مقعده الوثير ويحتج على رائحة الجثث البشرية، فالإبداع الثوري على تشظياته ليس قطيعة مع الواقع وإلا سقط في العدمية.

وفي أيامنا هذه أصبحت مهمة المبدع تتلخص في كشف طبيعة الدوافع والقوى التي تحرك مجمل العلاقات الإنسانية بشكل واع وبحدّس شفاف قادر على رؤية ما هو كائن. إن الأبعاد الحقيقية للمشكلات الإنسانية تتلخص في اكتشاف أسباب الخلل الذي يلف العالم، ويؤدي إلى هذه الاضطرابات العنيفة اللاإنسانية.

أصبح المبدع اليوم ضمير العصر الذي يعيش فيه، وهكذا يجد نفسه بالضرورة ملتزمًا بالإنسان وبالحياة. إنه الالتزام بمعناه الرحب الواسع، ولا يكون العمل الإبداعي اليوم إيجابيًا إلا عندما ينحو باتجاه التاريخ ويعبر عن قضايا الشعب بأكمله. فعظمة أي عمل إبداعي لا تنفصل عن مضمون القضية التي يطرحها ويدافع عنها. العمل الإبداعي/الأدبي، أداة تعليمية، أداة تنوير فكري، أداة نضال سياسية واجتماعية، أداة تثويرية، وهكذا يصبح هذا العمل بمثابة مغامرة إلى كل المواقع التي يجب أن ينصب عليها النضال.. وهنا يصبح العمل الإبداعي على ألوانه بالتالي أداة تحريض وتنوير اجتماعيين. السياسة والسياسيين بحاجة إلى إبداع المثقف والثقافة بحاجة إلى لغتهم في المحافل وفي الاجتماعات ولخيالهم في رسم المستقبل ولأوزانهم الشعرية لضبط المعادلات السياسية..

إيمانًا بهذه الرؤية علينا أن نرى أن عملنا الإبداعي عمل يسعى إلى الرقي بمجتمعنا نحو الأفضل دائمًا. وتأسيسًا على هذه الرؤية علينا أن نخوض تجربتنا الإبداعية/الأدبية من معاناته اليومية، ونرسم له شمس مستقبله وواحته الخضراء. على عملنا الإبداعي ألا يسلخ نفسه عن واقع جماهيرنا وألا يتقوقع في صدفة الفن الصافي، بل عليه أن يستمد من التجارب التي تعمّد فيها شعبنا، ومن المقلاة التي غاص فيها حتى النخاع.

اقرأوا ما انتجته أقلام الأدباء والشعراء من قصص وروايات وقصائد ومسرحيات تعري تلك الأنظمة كالنازية والفاشية، وكل الحركات والأيديولوجيات الرجعية الساقطة والهالكة. تعالوا نرفع الصوت عاليًا لنثري إبداعنا بصوت الغضب، بصوت الكرامة، تعالوا اليوم نشحذ أقلامنا وأفكارنا ونوظفها في خدمة قضايانا، تعالوا نبلسم بأشعارنا وبكتاباتنا جراحه، ونرسم له الأمل، ونلمّع بريق الابتسامة لتعلو الوجوه المتعبة المقهورة من جديد. تعالوا نرسم بكلماتنا بمواقفنا دولته المستقلة وحريته.

لم يعد كافيًا اليوم أن يجلس المبدع على مقعده الوثير ويحتج على رائحة الجثث البشرية

العمل الإبداعي، أداة نضال سياسية واجتماعية، أداة تثويرية